



This book is provided in digital form with the permission of the rightsholder as part of a Google project to make the world's books discoverable online.

The rightsholder has graciously given you the freedom to download all pages of this book. No additional commercial or other uses have been granted.

Please note that all copyrights remain reserved.

About Google Books

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Books helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>

مِنْ هَدْيِ الْإِسْلَامِ
١٣

الهدى والضلال ادبي

بمقام
فضيلة الأستاذ
أحمد عزم الدين البيانوني
رحمه الله تعالى



دار السلا

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

مِنْ هَدْيِ الْإِسْلَامِ

١٣

الهدى والضللال

بمقام
فضيلة الأستاذ
أحمد عمر الدين البيانوني
رحمة الله تعالى

دار الإسلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

للمنشر

دار السالار للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة ص.ب : ١٦١ غورية . ت : ٩٣٥٦٤٤

حلب ص.ب : ١٨٩٣ . هـ : ١٧٧٦٤

بيروت ص.ب : ١٣٥٣٣٧

الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م

الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م

الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ = ١٩٨٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ وَلِيًّا ﴾
 مرشداً ﴿ .

(١٧ - الكهف)

1000000

1000000 1000000 1000000 1000000

1000000

المقدمة

الحمد لله الهادي بشرعه الحكيم ، إلى سواء السبيل ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، النبي الكريم ، خير داعٍ وأهدى دليل .

وعلى آله وأصحابه والتابعين ، وتابعيهم على الهدى الأغر المبين إلى يوم الدين .

وبعد : فإن الله تعالى بحكمته ، خلق الخلق ، ودعاهم إلى الهدى ، وفتح قلوب من شاء منهم وهداهم إلى الحق ، وضل من ضل منهم بكفره وإعراضه .

اهتدى المسلمون الأولون إلى دين الله ، ودَعَوْا إليه وحملوا لواءه ، فأتقنوا العالم ، وأخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق ، وعاشوا ينعمون في ظلال العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وعبادات الإسلام الهادية ، وعدالته الشاملة ، وأخلاقه الرفيعة ..

ولم يزلوا كذلك ، حتى طال عليهم الأمد ، ففُتت

قلوبهم ، وتنكبوا طريق الهدى ، وسلخوا مسالك الردى ،
وعادوا يخبطون في فيافي الأهواء ، وضلال الآراء ، في حيرة
وقلق ، واضطراب وشقاء ..

ولن يزالوا كذلك ، حتى يثوبوا إلى الرشد ، ويهتدوا إلى
الصراط المستقيم ، ومحجة الإسلام البيضاء .

وإن العالم اليوم لينقصه جيل إسلامي بحق ، يحمل لواء
الحق ، ويعمل بهدي الإسلام الحنيف ، ويدعو إليه بالقول
والعمل .

من أجل هذا ، جمعت في هذه الرسالة ، ما يعرف
بالهدى ، ويوضح معالم الطريق إليه ، ويرغب فيه ، ويحذر
من الضلال وسوء عاقبته ، سائلاً الله تعالى أن يهدي بها العباد
إلى سبيل رضاه ، ويلهمهم الرشاد والهدى والسداد ، إنه سميع
مجيب .

في ١ ربيع الأول ١٣٩٥

أحمد عز الدين البيانوني

الهدى والضلال

معناها :

يستعمل لفظ « الهدى » بمعنى الدلالة والإلهام .

وفي هذا يقول الله تعالى :

﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر .. ﴾ (١) .

أي : خلق لكم هذه النجوم أدلة لتهتدوا بها إذا ضللت الطريق ، وتحيرتم فيه .

وقال تعالى : ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم ، وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون ، وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون ﴾ (٢) .

قال قتادة ، إنما خلق الله تعالى النجوم لثلاثة أشياء : لتكون زينة السماء ، ومعالم الطريق ، ورجوماً للشياطين .

(٢) ١٥ ، ١٦ - النحل .

(١) ٩٧ - الأنعام .

فمن قال غير هذا ، فقد تكلف ما لا علم له به .

وقال تعالى في الإنسان :

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (١) .

أي : يَبِّنا له سبيل الحق والباطل ، والهدى والضلال ،
وعرّفناه طريق الخير والشر .

وذلك مثل قوله تعالى أيضاً :

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (٢) .

أي : طريق الخير والشر ، والحق والباطل ، والهدى
والضلالة .

ومثل قوله تعالى :

﴿ إِن عَلَيْنَا لِلْهُدَى ، وَإِن لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ (٣) .

أي : علينا أن نبيّن طريق الهدى والضلالة .

(٢) ١٠ - البلد .

(١) ٣ - الإنسان .

(٣) ١٢ ، ١٣ - الليل .

وقال تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام في دعوته فرعون :
﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ، فقل : هل لك إلى أن
تزكّى ، وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾ (١) .

وقال في موضع آخر :

﴿ قال : فمن ربكما ياموسى ؟

قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ (٢) .

أي : هدام إلى ما يحتاجون إليه ويرتفقون به .

وقال تعالى في إبراهيم عليه الصلاة والسلام يخاطب أباه :

﴿ يا أبتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتِكَ فاتبعني
أهدِكَ صراطاً سويّاً ﴾ (٣) .

وقال تعالى لنبينا ﷺ :

﴿ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط
الله .. ﴾ (٤) .

(٢) ٤٩ ، ٥٠ - طه .

(١) ١٧ - ١٩ - النازعات .

(٤) ٥٢ ، ٥٣ - الشورى .

(٣) ٤٣ - مريم ..

أي : تُرشد إليه ، وتدلّ عليه .

والهدى : معناه الاهتداء .

ويتعدّى بحرف وبغير حرف .

تقول : هديته الطريق ، وهديته إلى الطريق .

وهديته الدار ، وهديته إلى الدار .

وفي القرآن الكريم :

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ .

﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ .

والضلالة : ضد الهدى .

وأصل الضلالة الحيرة .

ويسمى النسيان : ضلالة ، لما فيه من الحيرة .

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام :

﴿ فَعَلَّتْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ ^(١) .

أي : الناسين .

ويسمى الهلاك : ضلالة .

كما قال تعالى : ﴿ وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد ﴾ (١) .

الهدى بيد الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (٢) .

﴿ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ ، وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) .

﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ﴾ (٤) .

﴿ فريقيًا هدى ، وفريقيًا حق عليهم الضلالة ﴾ (٥) .

﴿ ولو شاء هدامكم أجمعين ﴾ (٦) .

(٢) ٢١٣ - البقرة .

(٤) ٨٨ - الأنعام .

(٦) ٩ - النحل .

(١) ١٠ - السجدة .

(٣) ٣٩ - الأنعام .

(٥) ٣٠ - الأعراف .

﴿ من يَهْدِ اللهُ فهو المهْتَدِ ، ومن يَضِلُّ فلن تجد له ولياً
مرشداً ﴾ (١) .

﴿ وكذلك أنزلناه آياتٍ بيناتٍ ، وأن الله يهْدِي من
يريد ﴾ (٢) .

﴿ فمن يرد الله أن يهْدِيه يشرح صدره للإسلام ، ومن
يردُّ أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً ، كأنما يصعد في
السماء ﴾ (٣) .

شبه الله تعالى الكافر في نفوره من الإيمان ، وثقله عليه ،
بمنزلة من تكلف مالا يطيقه ، كما أن صعود السماء لا يطاق .

وقال تعالى : ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما
بعوضةً فما فوقها .

فأما الذين آمنوا ، فيعلمون أنه الحق من ربهم .
وأما الذين كفروا ، فيقولون : ماذا أراد الله بهذا مثلاً؟!
يُضِلُّ به كثيراً ، ويهْدِي به كثيراً ، وما يضل به إلا

(٢) ١٦ - الحج .

(١) ١٧ - الكهف .

(٣) ١٢٥ - الأنعام .

الفاستقين ﴿ (١) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما ذكر الله آلهة المشركين فقال :

﴿ وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ (٢) .

وذكر كيد الآلهة ، فجعله كبيت العنكبوت . قالوا :

أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد ، أي شيء يصنع ؟

فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا .. ﴾ .

وقال بعض المفسرين : لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه ، وضرب للمشركين به المثل ، ضحكت اليهود ، وقالوا :

ما يشبه هذا كلام الله .

فأنزل الله تعالى الآية .

والفسق : معناه الخروج عن طاعة الله عز وجل .

وقد يقع على من خرج بكفر ، وعلى من خرج بعصيان .

وقال تعالى : ﴿ وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم ، حتى يبين لهم ما يتقون ﴾ (١) .

أي : ما كان ليوقع الضلالة في قلوبهم بعد الهدى ، حتى يبين لهم ما يتقون فلا يتقوه ، فعند ذلك يستحقون الإضلال .

وفي هذا أدل دليل على أن المعاصي إذا ارتكبت ، وانتهك حجابها ، كانت سبباً إلى الضلالة والردى ، وسلباً إلى ترك الرشاد والهدى .

وقال تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون ؟ ﴾ (٢) .

﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ . - أي : إلى الجنة - .

(٢) ٢٣ - الجاثية .

(١) ١١٥ - التوبة .

- وسميت الجنة : دار السلام ، لأن من دخلها سلم من الآفات . -

﴿ ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (١) .

عن جابر رضي الله عنه قال : جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم .

فقال بعضهم : إنه نائم .

وقال بعضهم : العين نائمة ، والقلب يقظان .

فقالوا : إن لصاحبكم مثلاً ، فاضربوا له مثلاً .

فقالوا : مثله كمثل رجل بنى داراً ، وجعل فيها مآدبة ، وبعث داعياً ، فن أجاب الداعي ، دخل الدار ، وأكل من المآدبة ، ومن لم يجب الداعي ، لم يدخل الدار ، ولم يأكل من المآدبة .

فقالوا : أولوها يفقهها ، فإن العين نائمة ، والقلب يقظان .

فقال بعضهم : الدار الجنة ، والداعي محمد ، فمن أطاع
محمداً ، فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً ، فقد عصى الله ،
ومحمد فرّق بين الناس (١) .



(١) البخاري .

من المشاهد المحسوس

مما يؤكّد أن الهدى بيد الله تعالى ، يهدي من يشاء ،
ويضل من يشاء : ما نرى ونسمع من ضلال بعض أبناء
المسلمين ، وكفرهم بالله ، وإلحادهم في دين الله ، وقد ولدوا في
بيوت مسلمة ، وفي بلاد إسلامية ، وأسماؤهم أسماء المسلمين !

ثم ما نرى ونسمع من اهتداء كثير في بلاد الشرق
والغرب ، ممن نشئوا بعيدين عن الإسلام ، وفي بيئات كافرة
متحللة ، ومجتمعات إلحاد وانطلاق :

حدثني من أثق به ، أن مُخرجاً سينائياً في أمريكا ، بلغ
من الغنى أعلاه ، وقضى شطر عمره في اللهو والخمر والفسوق
والفجور والكفر ، شعر بفراغ روعي في نفسه ، وأخذ يفكر
في ملء هذا الفراغ ، وتحركت بواعث الإيمان بالله في قلبه ،
فكان يجلس في ضراعة وخشوع ، لقوة في هذا الوجود ، يخضع
لها كيانه ، ولا يدرىها جنانه .

ودخل عليه بعض أصحابه مرة ، فرآه في هيئة الراكعين ،
فعجب منه وقال له : أسأمت ؟! إن هذا ما يفعله المسلمون !

فسأل عن الإسلام ، وبحث عن كتب بلغته تتحدث عن الإسلام ، حتى عثر على شيء منها ، فأسلم .

ثم رحل إلى مصر ، وجدّ في تعلم اللغة العربية ، والدين الإسلامي ، وشعر بسعادة الحياة .

وسأله بعضهم بعد ذلك ، عن أحب الأحنان إليه ، باعتبار أنه قضى حياته الأولى بين المعازف والأحنان ، فقال :
أعذب الأحنان ، صوت الأذان .

فسبحان الإله الهادي ، الذي بيده مفاتيح القلوب ، يقبّلها كيف يشاء ، يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء !

الرسول والدعاة لا يملكون من الهداية شيئاً

قال الله تعالى يخاطب نبيه محمداً ﷺ :

﴿ ومنهم من يستمعون إليك ، أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ؟

ومنهم من ينظر إليك ، أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا

يبصرون ؟ ﴿ (١) .

معناه : أنهم يستمعون إليك بظواهرهم ، وقلوبهم لا تعي شيئاً مما يقوله من الحق ، وما يتلوه من القرآن .

وظاهر الكلام الاستفهام ، ومعناه النفي :

أي : إنك لا تسمعهم ولا تهديهم .

وجعلهم كالضمّ والعمى ، للختم على قلوبهم ، والطبع عليها بكفرهم .

أي : لاتقدر على هداية من أصمّه الله عن سماع الهدى ، وأعماه عن رؤية الحق .

والمراد : تسليّة النبي ﷺ ، وتخفيف حزنه ، لإعراض الكافرين عن قبول دعوته :

قال تعالى : ﴿ فلعلك باخع نفسك (٢) على آثارهم ، إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ (٣) .

(٢) أي : مهلكها .

(١) ٤٢ ، ٤٣ - يونس .

(٣) ٦ - الكهف .

وقال تعالى : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يُضل .. ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (٣) .

أجمع أكثر المفسرين على أنها نزلت في أبي طالب ، عم النبي ﷺ :

وفي الحديث الشريف : « لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل ، وعبد الله ابن أبي أمية بن المغيرة .

فقال رسول الله ﷺ : « ياعم ! قل : « لا إله إلا الله » كلمة أشهد لك بها عند الله .

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب !
أترغب عن ملة عبد المطلب ؟

(٢) ٣٧ - النحل .

(١) ٨ - فاطر .

(٣) ٥٦ - القصص .

فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعيد له تلك
المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة
عبد المطلب .

وأبى أن يقول : لا إله إلا الله .

فقال رسول الله ﷺ : أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه
عنك .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا ، أن
يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ، من بعد ما تبين لهم
أنهم أصحاب الجحيم ﴾ (١) .

وأنزل الله تعالى في أبي طالب قوله لرسول الله ﷺ :

﴿ إنك لاتهدي من أحببت ﴾ (٢) .

وأما قوله تعالى : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط
مستقيم ﴾ (٣) .

(٢) رواه مسلم .

(١) ١١٣ - التوبة .

(٣) ٥٢ - الشورى .

فَعْنَاهُ : إِنَّكَ تَدْعُو وَتُرْشِدُ .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ^(١) .

أي : نبيّ يدعوهم إلى الله عز وجل ، ويدلهم على مآثره لهم .

وعلى هذا ، فإن الهدى هُديَان :

هدى دلالة ودعوة وتنبيه ، وهو الذي تقدر عليه الرسل وأتباعهم .

وهدى تأييدٌ وتوفيق ، وهو الذي تفرّد به سبحانه وتعالى .

وقد خاطب الله تعالى المؤمنين ، حين حرصوا على هداية قوم فلم يهتدوا :

﴿ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ، وَمَنْ يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا ﴾ ^(٢) .

أي : طريقاً إلى الهدى والرشاد .

كُتِبَ اللهُ تَعَالَى هَدَىً لِلنَّاسِ

أنزل الله تعالى على بعض رسله كتباً لتكون هدى للناس ،
يعرفون بها أوامر الله تعالى ونواهيه ، وشرائعه وأحكامه :

وهذه الكتب أربعة : وهي :

١ - الزبور : وأنزله الله تعالى على رسوله داود عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ ^(١) .

٢ - والتوراة : وأنزلها الله تعالى على رسوله موسى عليه
السلام .

٣ - والإنجيل : وأنزله الله تعالى على رسوله عيسى عليه
السلام .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ، وَجَعَلْنَاهُ هَدًى
لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ .. ﴾ ^(٢) .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هَدًى وَنُورٌ .. ﴾ ^(٣) .

(٢) ٢ - الإسراء .

(١) ٥٥ - الإسراء .

(٣) ٤٤ - المائدة .

وذكر الله تعالى بعض رسله ، ثم قال :

﴿ وَقَفِينَا ^(١) عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعَيْسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ ، مُصَدِّقًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ، وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى
وَنُورًا ، وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢) .

٤ - والقرآن الكريم : وأنزله على خاتم رسله محمد ﷺ ، وهو
آخر الكتب وناسخ لها :

قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٣) .

أي : يرشد المؤمنين إلى مسالك الجنان ، والطرق المفضية
إليها .

وخص الله تعالى المتقين بهدياته ، وإن كان هدى للخلق
أجمعين ، تشريفاً لهم ، لأنهم آمنوا به ، وصدقوا بما فيه .

(٢) ٤٦ - المائة .

(١) أي : أتبعنا .

(٣) ٢ - البقرة .

وقال عز وجل : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، مِنْ قَبْلِ هَدَى لِلنَّاسِ ، وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ (١) .

وهو القرآن .

وقال تعالى في القرآن الكريم أيضاً :

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) .

﴿ هَذَا بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى على لسان الجن لما سمعوا القرآن :

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ ، مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٤) .

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ (٥) .

(٢) ١٢٨ - آل عمران .

(٤) ٣٠ - الأحقاف .

(١) ٤ ، ٣ - آل عمران .

(٣) ٢٠٣ - الأعراف .

(٥) ٢ - الجن .

قال المفسرون : إن رسول الله ﷺ ، انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يؤس من خير ثقيف ، حتى إذا كان ببطن نخلة - اسم مكان - قام من جوف الليل يصلي ، فمرّ به نفر من جنّ « نصيبين » كانوا قاصدين الين ، وذلك حين منَعوا من استراق السمع من السماء ، ورُموا بالشهب ، فاستمعوا له .

فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين ، وقد آمنوا به ، وأجابوا لما سمعوا القرآن ، فقص الله بخبرهم عليه .

وقال تعالى : ﴿ ولقد جئناهم بكتاب (١) فصلناه على علم ، هدى ورحمةً لقوم يؤمنون ﴾ (٢) .

﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمةً وبشرى للمسلمين ﴾ (٣) .

﴿ وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد ﴾ (٤) .

(٢) ٥٣ - الأعراف .

(١) يعنى : القرآن .

(٤) ٤١ ، ٤٢ - فصلت .

(٣) ٨٩ - النحل .

﴿ قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا
يؤمنون في آذانهم وقْر ^(١) وهو عليهم عسى .. ﴾ ^(٢) .

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم .. ﴾ ^(٣) .

الصحف :

وكما أنزل الله تعالى هذه الكتب ، أنزل صحفاً على بعض
رسله ، فيها عظات وعبر :

قال الله تعالى : ﴿ أم لم يُنبأ بما في صحف موسى ،
وإبراهيم الذي وقى ؟ ﴾ ^(٤) .

﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم
وموسى ﴾ ^(٥) .

الناس فريقان : مهتدي وضال

قضت حكمة الله تعالى أن يكون في الناس مؤمن وكافر ،

(٢) ٤٤ - فصلت .

(٤) ٣٦ ، ٣٧ - النجم .

(١) أي : صمم .

(٣) ٩ - الإسراء .

(٥) ١٨ ، ١٩ - الأعلى .

وطائع وعاص ، ومهتدي وضال ، وشقي وسعيد ..

قال الله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم ، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ، فمنهم مهتد ، وكثير منهم فاسقون ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، ولكن حق القول مني : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ (٢) .

يستحق أهل الجنة دخول الجنة ، لاختيارهم الإيمان والطاعة .

ويستحق أهل النار دخول النار ، لاختيارهم الكفر والعصيان .

وفي الحديث الشريف : « إن أحدم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك .

(٢) ١٣ - السجدة .

(١) ٢٦ - الحديد .

ثم يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات :

بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقيّ أو سعيد .

فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب - أي : ما كتب عليه من شقاء - فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها .

وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب - أي : ما كتب له من سعادة - فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها « (١) .

وفي رواية : قالوا : أفلا نتكل على كتابنا يارسول الله ؟

قال : « اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له » .

فلا يسع المؤمن إلا أن يكون خائفاً من الله ، راجياً رحمته ، ويعمل على النجاة ، ويكثر من سؤال الله تعالى

(١) البخاري ومسلم .

الجنة ، والتعوذ به من النار .

طلب الهداية

تطلب الهداية بأسباب ، منها :

١ - الدعاء : فقد علم الله تعالى عباده أن يسألوه الهداية في قوله :

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ^(١) .

وذلك في كل ركعة من ركعات الصلاة ، وفي غيرها من الأحوال .

والصراط المستقيم : هو الطريق الواضح ، الذي لا اعوجاج فيه .

وهو الإسلام ، وهو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره .

(١) ٦ - الفاتحة .

قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (١) .

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (٢) .

ورب قائل يقول : كيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها ، وهو متصف بذلك ؟

والجواب : لولا احتياج المؤمن إلى سؤال ربه الهداية ليلاً ونهاراً ، لما أرشده الله تعالى إلى ذلك ، فإن العبد مفتقر في كل ساعة ، وفي كل حال ، إلى الله في تثبيته على الهداية ، ورسوخه فيها ، وتبصره وازدياده منها ، واستمراره عليها ، لأن العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله .

فأرشده الله تعالى إلى أن يسأله في كل وقت ، وأن يمهده بالمعونة والثبات والتوفيق ، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله ، والله تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه ، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار .
فهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية ، بمعنى

(٢) ٨٥ - آل عمران .

(١) ١٩ - آل عمران .

سؤال التثبيت ، وطلب مزيد الهداية ، لأن الألفاظ والهدايات من الله لا تتناهى .

ومن شأن الراسخين في العلم ، أن يسألوا الله تعالى دوام الهدى .

قال الله تعالى على لسانهم : ﴿ ربنا لا تفرغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب ﴾ (١) .

وفي الحديث الشريف : « قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد ، يصرفه حيث يشاء » .

ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهم مصرف القلوب ، صرف قلوبنا على طاعتك » (٢)

ومن أسباب الهداية :

٢ - الإيمان :

قال الله تعالى : ﴿ ومن يعتصم بالله ، فقد هُدي إلى

(٢) مسلم .

(١) ٨ - آل عمران .

صراط مستقيم ﴿ (١) .

والاعتصام بالله : هو الإيمان به ، والتمسك بدينه
وطاعته .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بإيمانهم ﴾ (٢) .

أي : يزيدهم هداية .

وقال تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ، وآتاهم
تقواهم ﴾ (٣) .

أي : زادهم بصيرة في دينهم ، وتصديقاً لنبیهم ، وشرح
صدورهم بما هم عليه من الإيمان .

وآتاهم تقواهم : أي : ألهمهم إياها ، ووقفهم لمرضاته .

وقال تعالى : ﴿ إنما يَعْمُرُ مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، ولم يخش إلا
الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ (٤) .

(٢) ٩ - يونس .

(١) ١٠١ - آل عمران .

(٤) ١٨ - التوبة .

(٣) ١٧ - محمد .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (١) .

أي : أقام على إيمانه حتى مات عليه .

وقال تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴾ (٢) .

﴿ وَمَن يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ ، فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٣) .

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٤) .

﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (٥) .

أي : للصبر والرضا ، ويلهمه أن يقول :

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٦) .

(٢) ١٠٤ - النحل .

(١) ٨٢ - طه .

(٤) ١٣٦ - النساء .

(٣) ١٠٨ - البقرة .

(٦) ١٥٦ - البقرة .

(٥) ١١ - التغابن .

ويجعل في قلبه اليقين ، ليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

ومن أسباب الهداية :

٣ - اتّباع ما أمر الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ، فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

﴿ ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضلّ ضلّالاً مبيناً ﴾ (٢) .

والهدى : ما يرسله الله تعالى من الرسل ، وما يشرعه لعباده من الشرائع .

وقال تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ﴾ (٣) ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴿ (٤) .

(٢) ٣٦ - الأحزاب .

(٤) ١٥ ، ١٦ - المائدة .

(١) البقرة - ٣٨ .

(٣) أي : بتوفيقه وإرادته .

ومن أسباب الهداية :

٤ - مجاهدة النفس :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا .. ﴾ (١) .

هم الذين جاهدوا النفوس في طاعة الله ، وهو الجهاد الأكبر .

والمعنى : لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة ، التي توصل إلى رضا الله تعالى . ومن المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفات الهوى .

وبعد ، فهذه أسباب للهداية ، ينبغي أن يتعاطاها العبد ساعياً وراء الهداية ، التي هي سبب السعادة في الدنيا والآخرة .

فالهداية ينبغي أن تطلب قولاً بالضراعة إلى الله تعالى بالدعاء ، وسؤالها منه سبحانه ، وبالعمل بالإنابة إلى الله عز

(١) - العنكبوت .

وجل ، وسلوك طريق المهتدين .

أما أن يُخْلِذ الإنسان إلى الهوى ، ويقعد عن الطاعة ،
ويُحِيل على المقادير ، فلا يطلب الهداية ، ولا يتعاطى
أسبابها .. فهذا شقاء وحق وضلال .

والذي يفضح أمثال هؤلاء ، أنهم لا يقعدون عن طلب
الرزق ، والسعي في رغباتهم الدنيوية ، مع اعتقادهم أن الله
تعالى هو الرازق والفاعل المختار . فكما يتعاطون أسباب
الرزق ، فينبغي أن يتعاطوا أسباب الهداية والمغفرة ، ويسعوا
في الحصول عليها . وإلا فيقال لأحدهم :

تقول مع العصيان : ربي غافر

صدقتَ ولكنْ غافرَ بالمشيئةِ

وربَّكَ رَزَاقَ كما هو غافر

فلمْ لَمْ تصدِّقْ فيهما بالسَّويَّةِ

تسيءُ به ظناً وتُحسِنُ تارةً

على حسب ما يقضي الهوى بالقضية

الله تعالى غني عن العالمين

إن الله تعالى غني عن العالمين ، لا ينفعه إيمان ولا طاعة ،
ولا يضره كفر ولا معصية :

﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ^(١) ومن ضل فإنما يضل
عليها ^(٢) ﴾ ^(٣) .

﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا
الرسول ^(٤) من بعد ماتبين لهم الهدى ، لن يضروا الله
شيئاً .. ﴾ ^(٥) .

وفي الحديث القدسي الشريف : « يا عبادي ! إنكم لن
تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتتفعلوني » ^(٦) .

(١) أي لخلاص نفسه . (٢) أي وبال ذلك على نفسه .

(٣) ١٥ - الإسراء . (٤) أي : خالفوه وعصوه .

(٥) ٣٢ - محمد . (٦) مسلم .

لا عذر لنفس في ضلالها

قال الله تعالى : ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ، من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة ، وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس : يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ، وإن كنت لمن الساخرين . .

أو تقول : لو أن الله هداني لكنت من المتقين ﴿ (١) .

وهذا القول : « لو أن الله هداني لاهتديت » .

قول صدق ، وهو قريب من احتجاج المشركين ، فيما أخبر الله عز وجل عنهم في قوله :

﴿ سيقول الذين أشركوا : لو شاء الله ما أشركنا ﴿ (٢) .

فهي كلمة حق أريد بها باطل .

﴿ قل : فله الحجة البالغة ، فلو شاء هدام أجمعين ﴿ (٣) .

(٢) ١٤٨ - الأنعام .

(١) ٥٥ - ٥٧ - الزمر .

(٣) ١٤٩ - الأنعام .

والحجة البالغة : هي التي تقطع عذر المعتذر ، وتزيل الشك عن نظر فيها .

فحجة الله البالغة : تبيّنه للعباد أنه الإله الواحد ، وإرساله الرسل ، فبيّن التوحيد بالنظر في المخلوقات :

﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ﴾ (١) .

يعني السموات والأرض ، وأيد الرسل بالمعجزات الدالة على صدقهم ، ولزم أمره كل مكلف

فأما علمه وإرادته وكلامه فغيب لا يطلع عليه إلا من ارتضى من رسول .

ويكفي في التكليف ، أن يكون العبد بحيث لو أراد أن يفعل ما أمر به لأمكنه .

وقول المشركين : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ﴾ (٢) .

مذموم لأنهم تركوا الاجتهاد في طلب الحق ، وقالوا ذلك على سبيل الهزء واللعب .

(٢) ١٤٨ - الأنعام .

(١) ٢٢ - الأنبياء .

ونظير ذلك قوله تعالى عنهم :

﴿ وقالوا : لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ (١) .

ولو قالوه على سبيل التعظيم والإجلال والمعرفة به لما
عذبهم على ذلك .

لأن الله تعالى يقول : ﴿ ولو شاء الله ما أشركوا ﴾ (٢) .

﴿ ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ﴾ (٣) .

﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ (٤) .

ومثل هذا كثير ، والمؤمنون يقولونه لعلم منهم بالله
تعالى .



(٢) ١٠٧ - الأنعام .

(٤) ٩ - النحل .

(١) ٢٠ - الزخرف .

(٣) ١١١ - الأنعام .

الهدى في الاتباع

إنما يوصف بالهدى وأنه على هدى ، من استجاب لدعوة الإيمان ، وقام بطاعة الرحمن ، وأتبع ماجاء به القرآن .

قال الله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .

الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون .

والذين يؤمنون بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك ، وبالأخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴿ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون ﴿ (٢) .

﴿ قل : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّل (٣) وعليكم ما حُمِّلتم (٤) وإن تطيعوه

(٢) ١٥٨ - الأعراف .

(١) ٢ - ٥ - البقرة .

(٤) أي : من الطاعة .

(٣) أي : من تبليغ الرسالة .

تهتدوا .. ﴿ (١) .

﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأمينين : أسلمتم ؟
فإن أسلموا فقد اهتدوا ﴾ (٢) .

﴿ أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى ، أم من يمشي سوياً
على صراط مستقيم ؟ ﴾ (٣) .

وهو الإسلام .

﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً
مبيناً ﴾ (٤) .

وفي الحديث الشريف : ليأتين على أمتي ، ما أتى على بني
إسرائيل ، حَذُوا النعل بالنعل - أي : مشاهياً له تماماً - حتى إن
كان منهم من يأتى أمه علانية ، لكان من أمتي من يصنع
ذلك .

وإن بني إسرائيل تفرّقوا اثنتين وسبعين فرقة ، وستتفرق

(٢) ٢٠ - آل عمران .

(٤) ٣٦ - الأحزاب .

(١) ٥٤ - النور .

(٣) ٢٢ - الملك .

أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم في النار ، إلا فرقة واحدة .

قالوا : من هي يا رسول الله ؟

قال : ما أنا عليه وأصحابي « (١) .

وفي الحديث الشريف : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضُوا عليها بالنواجذ - أي : تمسكوا بها كل التمسك - .

وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة « (٢) .

وخطب الرسول ﷺ في حجة الوداع ، وكان مما قال :

« تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : « كتاب الله

وسنتي « ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض « (٣) .

فالقُرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، هما الأصلان

اللذان لا عدول عنهما ، ولا هدى إلا منهما ، والعصمة والنجاة

(٢) أبو داود وغيره .

(١) أبو داود والترمذي .

(٣) الحاكم .

لمن تمسك بهما ، واعتصم بجبلهما ، وهما الفرقان الواضح بين الحق إذا اقتفاهما ، والمبطل إذا تخلى عنها .

وفي الحديث الشريف : « إن هذا القرآن طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به ، فإنكم لن تَضِلُّوا ، ولن تهلكوا بعده أبداً » (١) .

أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ، وشرّ الأمور مُحدثاتها ، وكل بدعة ضلالة (٢) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى غَدًا مُسْلِمًا ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات ، حيث يُنَادِي بهن ، فإن الله شرع لنبىكم ﷺ سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم ، كما يصلي هذا المتخلف في بيته ، لتركتم سنة نبىكم ولو تركتم سنة نبىكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتي به ، يهادى

(٢) مسلم .

(١) الطبراني .

- أي : يتمايل بين الرجلين - أي : لمرضه - حتى يُقام في الصف « (١) .

من الذين هدى الله

لما كانت الهداية بيد الله تعالى وحده ، وهو الذي يهدي من يشاء من عباده ، كان أول من أنعم عليهم بالهداية ، رسله الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، فقد اصطفاهم من الناس ، وهداهم إليه ، وأهلهم للدعوة إليه .

قال الله تعالى مخاطباً نبينا محمداً ﷺ :

﴿ ألم يجدهم يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى ﴾ (٢) .

أي : لم تكن تدرك القرآن والشرائع ، فهداك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام .

وهو مثل قوله تعالى : ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه (٣) نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا .. ﴾ (٤) .

(٢) ٦ ، ٧ - الضحى .

(٤) ٥٢ - الشورى .

(١) مسلم .

(٣) أي : القرآن والوحي .

﴿ قل : إني هداني ربي إلى صراط مستقيم ﴾ ^(١) .

﴿ وادعُ إلى ربك ، إنك لعلی هدى مستقيم ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى في موسى وهارون عليهما السلام :

﴿ وهديناها الصراط المستقيم ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى في قوم موسى عليه السلام وقوم فرعون :

﴿ فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى : إنا لمدركون .

قال : كلا ، إن معي ربي سيهدين .

فأوحينا إلى موسى : أن اضرب بعصاك البحر ، فانفلق

فكان كل فريق كالطود العظيم ﴾ ^(٤) .

وقال تعالى على لسان رسله :

﴿ ومالنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ﴾ ^(٥) .

وقال تعالى في أصحاب الكهف :

(٢) ٦٧ - الحج .

(٤) ٦١ - ٦٣ - الشعراء .

(١) ١٦١ - الأنعام .

(٣) ١١٨ - الصافات .

(٥) ١٢ - إبراهيم .

﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم ، وزدناهم هدى ﴾ (١) .

وقال تعالى في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة
المعظمة :

﴿ وماجعلنا القبلة التي كنتَ عليها (٢) إلا لنعلم (٣) من
يتَّبِع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ .

أي : يرتد عن دينه ، لأن القبلة لما حُولت ، ارتد من
المسلمين قوم ، ووافق قوم .

ثم قال تعالى : ﴿ وإن كانت (٤) لكبيرة إلا على الذين
هدى الله ﴾ (٥) .

قال حَيَّ بن أخطب وأصحابه من اليهود للمسلمين .

أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس . إن كانت على هدى
فقد تحولتم عنه . وإن كانت على ضلالة ، فقد دِنتم بها مدة ،
ومن مات عليها فقد مات على ضلالة .

(٢) أي : منسوخة وهي بيت المقدس .

(٤) أي : هذه التحويلة .

(١) ١٣ - الكهف .

(٣) أي : لنرى .

(٥) ١٤٣ : البقرة .

فقال المسلمون : إنما الهدى فيما أمر الله به ، والضلالة فيما نهى الله عنه .

وقال تعالى مثنياً على عباده المنيبين إليه :

﴿ فبشّر عبادِ ، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله .. ﴾ (١) .

أي : لما يرضاه من الإيمان والإنابة والعمل الصالح .

من موانع الهدى

مما يمنع من الهدى ، ويحرم العبد منه ، أوصاف ذميمة ، جاء بيانها في آيات كريمة ، كالكفر والظلم والفسق والكذب واتباع الهوى ..

قال الله تعالى :

﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (٢) .

﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ (٣) .

(٢) ٢٥٨ - البقرة .

(١) ١٧ ، ١٨ - الزمر .

(٣) ١٠٨ - المائدة .

﴿ كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم ، وشهدوا أن
الرسول حق ، وجاءهم البينات ، والله لا يهدي القوم
الظالمين ﴾ (١) .

﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ (٢) .

﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ (٣) .

﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ،
ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدي
القوم الظالمين ﴾ (٤) .

﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ، ثم آمنوا ثم كفروا ، ثم
ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ، ولا ليهديهم
سبيلاً ﴾ (٥) .

﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل (٦) وأضلوا
كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (٧) .

(٢) ٢٦٤ - البقرة .

(٤) ٥٠ - القصص .

(٦) يعنى : اليهود .

(١) ٨٦ - آل عمران .

(٣) ٢ - الزمر .

(٥) ١٣٧ - النساء .

(٧) ٧٧ - المائدة .

﴿ وَإِنْ كَثِيراً لِيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى مندداً على أهل الأهواء وذاماً لهم :

﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم ،
وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن
يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون ؟ ﴾ (٢) .

﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطاً ﴾ (٣) .

أي : تضيعاً وهلاكاً .

قال ابن عباس رضي الله عنهما :

ما ذكر الله تعالى هوى في القرآن إلا ذمه .

وفي الحديث الشريف :

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » (٤) .

« الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت والعاجز من

(٢) ٢٣ - الجاثية .

(١) ١١٩ - الأنعام .

(٤) رواه صاحب كتاب الحجّة .

(٣) ٢٨ - الكهف .

أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» (١) .

« إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبّعاً ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة » (٢) .

« ثلاث مهلكات ، وثلاث منجيات :

فأما المهلكات : فشح مطاع ، وهوى متبّع ، وإعجاب المرء بنفسه .

وأما المنجيات : فالعدل في الغضب والرضا وخشية الله في السر والعلانية ، والقصد - أي : التوسط - في الغنى والفقير » (٣)

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه :

إذا أصبح الرجل ، اجتمع هواه وعمله وعلمه :

فإن كان عمله تبعاً لهواه ، فيومه يوم سوء .

(٢) أبو داود والترمذي .

(١) أحمد وغيره .

(٣) البيهقي والبخاري .

وإن كان عمله تبعاً لعلمه ، فيومه يوم صالح .

وقال الأصمعي : سمعت رجلاً يقول :

إن الهوان هو الهوى قُلب اسمه

فإذا هويتَ فقد لقيتَ هوانا

وسئل ابن المقفع عن الهوى ، فقال : هوانٌ سُرقت نونه .

فأخذه شاعر ، فنظمه فقال :

نون الهوان من الهوى مسروقة

وأسير كل هوى صريع هوانٍ

وقال آخر :

والنفس إن أعطيتها مُناها

فاغرةً نحو هواها فاهها

وقال بعض السلف :

هواك داؤك ، فإذا خالفته فدواؤك .

إذا شككت في أمرين ، ولم تدر خيرهما ، فانظر أبعدها

عن هواك فأتِه .

وحسبك في مخالفة الهوى قوله تعالى :

﴿ وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ،
فإن الجنة هي المأوى ﴾ (١) .

الشكر على الهدى

نعم الله تعالى على العباد كثيرة لا تحصى .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (٢) .

وأجلّ النعم وأعظمها نعمة الهداية إلى دين الله وشرائع
الله ، والعمل بطاعة الله ، لما يترتب عليها من دخول الجنة ،
والنجاة من النار .

ولهذا قال تعالى في آيات الصوم :

﴿ ولتكلّموا العدة ، ولتكبّروا الله على ما هداكم ، ولعلكم
تشكرون ﴾ (٣) .

(٢) ٣٤ - إبراهيم .

(١) ٤٠ ، ٤١ - النازعات .

(٣) ١٨٥ - البقرة .

وقال تعالى في الحج :

﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ، وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى في الذبائح في الحج :

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دَمَائُهَا ، وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ، كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ، لِتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ، وَبَشَرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) .

أي : لن يصل إليه شيء من لحوم الذبائح ولا دمائها ، ولا يصعد إليه شيء من ذلك ، ولكن يصل إليه التقوى منكم - أي : ما أريد به وجهه - فذلك يقبله ويرفعه إليه ، ويسمعه ويثيب عليه ، لأن الأعمال بالنيات .

وقال تعالى في بعض الأعراب الذي جاءوا يمتنون على رسول الله ﷺ أن أسلموا :

(٢) ٣٧ - الحج .

(١) ١٩٨ - البقرة .

﴿ قل : لآتمنوا علي إسلامكم ، بل الله يُمنُ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ (١) .

أكثر الناس يدعون إلى ضلال

قال الله تعالى : ﴿ وإن قطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخضون ﴾ (٢) .

أي : يحدسون ويقدرّون ، وليسوا على علم ولا يقين .

﴿ وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم ﴾ (٣) .

ومن هنا قال بعض السلف : ما أهلك الناس إلا الناسُ .

عليك بطريق الهدى ، وإن قلّ فيها السالكون .

واحذر طريق الردى ، وإن كثر فيها الهالكون .

(٢) - الأنعام - ١١٦ .

(١) - الحجرات - ١٧ .

(٣) - الأنعام - ١١٩ .

من علامات الهدى

من علامات الهدى :

انشراح الصدر للإيمان بالله ، وما جاء من عند الله ،
والعمل بمرضاة الله .

واستحسان ما استحسنته الشرع ، واستقباح ما استقبحت
الشرع .

ومحبة الحق والدعوة إليه ، والأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر .

والخضوع لحكم الله تعالى ، وحكم رسوله ﷺ في صغير
الأمر وكبيره .

وبذل النفس والنفيس في سبيل الله .

وكثرة ذكر الله تبارك وتعالى ، والفرح بمن يذكر به
وبطاعته .

والخوف من الله تعالى ، ورجاء رحمته وعفوه .

والأنس بالصالحين ، والتحدث عنهم ، وكراهية العاصين
والبعد عنهم .

والحب في الله والبغض في الله ، وموالة أوليائه ومعاداة
أعدائه .

والتحلي بالفضائل ، والتخلي عن الرذائل ، والتأدب
بالآداب الإسلامية الرفيعة .

والزهد في الدنيا وحطامها ، والرغبة في الآخرة وثوابها .
والانتفاع بالمواعظ ، والاعتبار بالعبر ..

من علامات الضلال

من علامات الضلال أزداد علامات الهدى :

ضيق الصدر وانقباضه عن الإيمان بالله تعالى وما جاء من
عند الله .

واستحسان شيء مما قبحه الشرع ، واستقباح شيء مما
حسّنه الشرع .

ومنايذة الحق ، واتباع الباطل والأهواء .

والترد على حكم الله تعالى ، والتذمر من يذكّر به
وبطاعته .

والجراءة على الله تعالى ، والغرور برجاء رحمته من غير
عمل .

والوحشة من الصالحين ، والأنس بالكافرين والفاستين .
والحب والبغض اتباعاً للهوى ، ومعاداة أولياء الله تعالى
وموالة أعدائه .

والرغبة في الدنيا وحطامها ، والزهد في الآخرة وثوابها .
والصم عن استماع المواعظ . والعمى عن الانتفاع بالعبر ..

الدعوة إلى الهدى

أرسل الله تعالى رسله الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ،
دعاةً إلى الهدى ، يدعون الناس إلى الله تبارك وتعالى ، فن
الناس من أبصر واستجاب وآمن واهتدى ، ومنهم من عمى
وأعرض وضل وكفر .

وفي هذا يقول الله تعالى :

﴿ وأما ثمود فهديناهم ^(١) فاستحبوا العمى ﴾ ^(٢) .

أي : اختاروا الكفر على الإيمان .

وقال تعالى في إبراهيم عليه السلام : ودعوته أباه إلى
الإيمان أنه قال له :

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ، فَاتَّبِعْنِي
أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ ^(٣) .

أي : أرشدك إلى دين قويم فيه النجاة .

وقال تعالى بعد ذكر طائفة من رسله :

﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا ﴾ .

أي : يدعون الناس إلى الهدى ، بما أنزلنا عليهم من
الوحي والأمر والنهي .

(١) أي : بينا لهم الهدى والضلال .

(٢) ١٧ - فصلت .

(٣) ٤٣ - مريم .

﴿ وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وكانوا لنا عابدين ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ومن خلقنا أمة^(٢) يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ (٣) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد أمة محمد ﷺ وهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان .

قال قتادة : بلغنا أن النبي ﷺ ، كان إذا قرأ هذه الآية قال : هذه لكم ، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها :

﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ (٤) .

وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن

(٢) أي : جماعة وعصابة .

(٤) ١٥٩ - الأعراف .

(١) ٧٣ - الأنبياء .

(٣) ١٨٠ - الأعراف .

سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين ﴿ (١) .

هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش ، وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين ، دون مخاشنة وتعنيف .

وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة .

فهي محكمة في جهة العصاة من المؤمنين ، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين .

وقيل : إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ، ورُجِي إيمانه بها دون قتال ، فهي فيه محكمة .

وفي الحديث الشريف : « لاتزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » (٢) .

وفي هذا دليل على أنه لا يخلو زمان من قائم بالحق ، يعمل به ويهدي إليه .

(٢) البخاري ومسلم .

(١) - النحل .

والدعوة إلى الله تعالى وإلى سبيل الهدى ، ديدن المؤمنين في كل زمان ومكان ، وقد أثنى الله تعالى على الدعاة إليه فقال :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال : إنني من المسلمين ﴾ (١) .

وما أحوج المسلمين اليوم إلى تجديد نشاطهم في الدعوة إلى الله ، وإلى دين الله ، فالعالم كله في ضلال وكفر وغفلة عن الله تعالى ، وفي جاهلية هي شر من الجاهلية الأولى .

ولا دواء للعالم إلا الإيمان بالله تعالى ، ولا شفاء له من علله وشقائه ، إلا بالإسلام الحنيف ، وشرائعه الحكيمة .

وفي الحديث الشريف : « من دعا إلى هدى : كان له من الأجر ، مثل أجر من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً » (٢) .

وقال الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه :

« فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النعم » (١) .

وحمر النعم : الإبل الحمر ، وهي أشرف أموال العرب .
وقد رغب النبي ﷺ أمته في تعليم العلم ، ودعوة الناس إلى الهدى :

ففي الحديث الشريف : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث - أي : مطر - أصاب أرضاً :
فكانت منها طائفة طيبة ، قبلت الماء ، فأنبتت الكلاً والعُشب الكثير .

وكان منها أجادبٌ - أي : أراضٍ لانبات فيها - والمراد بها هنا الأرض الصلبة - أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها ، وسقوا ، وزرعوا .

وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان : لاتمسك ماء ولا تنبت كلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما

(١) البخاري ومسلم .

بعثني الله به ، فعِلِم وعِلِم . ومثَل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به « (١) .

وفي الحديث الشريف :

« لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » (٢) .

أي : من الإبل الحمر ، وهي أشرف أموال العرب .

وفي الحديث الشريف أيضاً :

« نصر الله امرأ سمع منا شيئاً ، فبلغه كما سمعه ، فربّ مبلغ أوعى من سامع » (٣) .

وقوله : نصر الله امرأ : دعاء له بالنصرة ، وهي النعمة والبهجة . والمراد : حسن خلقه وقدره .

☆ ☆ ☆

(٢) البخاري ومسلم .

(١) البخاري ومسلم .

(٣) الترمذي ،

لا يجوز كتمان الهدى

قال الله تعالى محذراً من كتمان الهدى والعلم :

﴿ إِن الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ، مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ، أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ، وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (١) .

نزلت في علماء اليهود ، الذين كتموا صفة محمد ﷺ ، وآية الرجم وغيرها من الأحكام ، التي كانت في التوراة .

والمراد بهذا كل من كتم الحق ولم يبينه للناس .

وقد حذر النبي ﷺ أيضاً من كتمان العلم فقال :

« من سئل عن علم يعلمه فكتمه ، أجم يوم القيامة بلجام من نار » (٢)

فالمسك عن تعليم الهدى ممثّل بمن أجم نفسه بلجام .

والمعنى : أن الملجم نفسه عن قول الحق ، والإخبار عن

(٢) أبو داود والترمذي .

(١) ١٥٩ - البقرة .

العلم ، والدعوة إلى الهدى ، يُعاقب في الآخرة بلجام من نار .

وذلك في العلم الذي يلزمه تعليمه ، ويتعين عليه فرضه :

كن رأياً كافراً يريد الإسلام فيقول :

علموني ما الإسلام ؟ وما الدين ؟

وكن يرى رجلاً حديث عهد بالإسلام ، ولا يحسن

الصلاة ، وقد حضر وقتها ، يقول :

علموني كيف أصلي .

وكن جاء مستفتياً في حلال أو حرام ، يقول :

أفتوني ، أرشدوني .

فإنه يلزم في مثل ذلك أن يُعرّف الجواب ، فمن منعه

استحقّ الوعيد .

وليس الأمر كذلك في نوافل العلم التي لا يلزم تعليمها .

لا يضر المهتدين من ضلّ

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ،
لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم ﴾ (١) .

هذا أمرٌ من الله تعالى ، ومعناه :

احفظوا أنفسكم من ملبسة الذنوب ، والإصرار على
المعاصي ، وأصلحوها ، واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز
وجل ، وانظروا إلى ما يقربها منه سبحانه .

لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم : يعني لا يضرّكم كفرٌ من
كفر إذا كنتم مهتدين ، وأطعتم الله تعالى فيما أمركم به ، ونهاكم
عنه .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال :

أيها الناس ! إنكم تقرءون هذه الآية ، وتتأولونها على غير
تأويلها :

﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ .

وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن الناس إذا رأوا الظالم ، فلم يأخذوا على يديه - أي : لم يمنعوه - أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » (١)

وزاد في رواية : « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، ثم يقدرن على أن يغيروا ولا يغيروا ، إلا أوشك أن يعمهم الله بعقاب » (٢) .

وعن أبي أمية الشعباني ، قال : أتيت أبا ثعلبة الحشني رضي الله عنه ، فقلت له :

كيف نضع بهذه الآية ؟

قال : أية أية ؟

قلت : قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ .

(٢) أبو داود .

(١) الترمذي .

قال : أما والله لقد سألت عنها خبيراً . سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال :

« بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبَعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة ، فإن من ورائكم أياماً ، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم » .

وفي رواية : قيل : يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم ؟

قال : « بل أجر خمسين منكم » (١)

وقال تعالى : ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها ﴾ (٢) .

أي : كل أحد يحاسب عن نفسه لا عن غيره ، فمن اهتدى فثواب اهتدائه له ، ومن ضلّ فعقاب كفره وضلاله عليه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت هذه الآية في

(٢) ١٥ - الإسراء .

(١) أبو داود والترمذي .

الوليد بن المغيرة ، قال لأهل مكة : أتبعوني واكفروا بمحمد ،
وعليّ أوزاركم .

فنزلت هذه الآية : أي : إن الوليد لا يحمل أثامكم وإنما
إثم كل واحد عليه .

وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا : اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم ، وما هم بحاملين من خطاياهم من
شيء ، إنهم لكاذبون ﴾ (١) .

فقد كذبهم الله تعالى ، ونفى ما قالوه ، وأن أحداً ليس
بحامل من خطايا أحد ، وكل امرئ بما كسب رهين .

الضلال بعد الهدى

أقبح الضلال ما كان من بعد هدى ، كما أن أشد الظلمة ما
كانت من بعد نور :

قال الله تعالى : ﴿ قل : أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا
ولا يضرنا ، ونُردّ على أعقابنا بعد إذا هدانَا

(١) ١٢ - العنكبوت .

الله .. ؟ ﴿ (١) .

﴿ وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ﴾ (٢) .

أي : ما يأتون وما يذرون ، فيأمرهم وينهاهم ، فإذا استجابوا اهتدوا ، وإذا أعرضوا ضلوا .

وقال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نولّه ما تولى (٣) ونصله جهنم ، وساعت مصيراً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ واتلّ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين ﴾ (٥) .

قال المفسرون : هو رجل من بني إسرائيل ، كان في مجلسه

(١) - الأنعام .

(٢) - التوبة .

(٣) أي : نكله في الآخرة إلى ماتولي في الدنيا وتركه وما اختار لنفسه .

(٤) - النساء .

(٥) - الأعراف .

اثنتا عشرة محبرة ، للمتعلمين الذين يكتبون عنه ، ثم ضل حتى آل به الأمر إلى أن صَنَّف كتاباً عنوانه : « ليس للعالم صانع » .

فانسَلَخ من معرفة الله تعالى ، ونزَع منه العلم الذي كان يعلمه .

ومثل هذا كثير في السير :

كقصة عقبة بن أبي مُعَيْط :

كان الجار الثاني لرسول الله ﷺ - بعد عمه أبي لهب - .

صنع مرة وليمة ، ودعا لها كبراء قريش ، وفيهم رسول الله ﷺ .

فقال عليه الصلاة والسلام : والله لا أكل طعامك حتى تؤمن بالله . فتشَّهد ، فبلغ ذلك أبي بن خلف الجُمحي القرشي ، وكان صديقاً له :

فقال : ما شيء بلغني عنك ؟

قال : لا شيء ، دخل منزلي رجل شريف ، فأبى أن يأكل

طعامي ، حتى أشهد له ، فاستحييت أن يخرج من بيتي ، ولم
يَظعم ، فشهدت له .

فقال أبيّ : وجهي من وجهك حرام ، إن لقيت محمداً ، فلم
تطأ عنقه ، وتبزق في وجهه ، وتلطم عينه .

فلما رأى عقبة رسول الله ﷺ فعل به ذلك .
فأنزل الله فيه :

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ :

يَالَيْتَنِي اتَّخَذتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً .

يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلاناً خَلِيلاً .

لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان
للإنسان خذولاً ﴿ (١) .

وقصة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، الذي أسلم ، وكتب
لرسول الله ﷺ الوحي ، ثم ارتد ، وافترى الكذب على رسول
الله ﷺ ، وهو الأمين المأمون ، فكان يقول :

إن محمداً كان يأمرني أن أكتب « علم حكيم » فأكتب
« غفور رحيم » فيقول : « كلُّ جَيِّدٍ » .

وقصة ثعلبة بن حاطب الذي عاهد الله تعالى إن رزقه
مالاً أن يوّتي كل ذي حق حقه .

فلما آتاه الله المال ، بخل به ، وكذب ما وعد الله تعالى ،
فكان من المنافقين .

وارتد جماعة من الأعراب عن الإسلام ، بعد وفاة النبي
ﷺ ، فقَاتَلَهُمُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقتل منهم من قتل ،
ورجع إلى الإسلام منهم من رجع .

وقصة جَبَلَةَ بن الأَيِّمِ ، آخر ملوك الغساسنة :

أسلم في خلافة أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ، في السنة السادسة عشرة من الهجرة .

وفي هذه السنة خرج عمر إلى الحج ، فحج جبلة معه .

فبينما جبلة يطوف حول الكعبة المعظمة ، إذ وطئ
رجل من قَزَارَةِ إِزَارِهِ ، فلطمه جبلة ، فهشم أنفه .

فأقبل الفزاري إلى عمر وشكاه .

فأحضره عمر ، وقال : افتدِ نفسك وإلا أمرته أن
يلطمك .

فقال جبلة : كيف ذلك ، وأنا ملك ، وهو سوقة ؟!

فقال عمر : إن الإسلام جمعكما ، وسوى بينكما .

فقال جبلة : أتنصر .

قال عمر : إن تنصرت ضربتُ عنقك .

فقال : أنظرنى - أي : أمهلنى - ليلتى هذه .

فأنظره عمر ، فلما جاء الليل ، سار جبلة بخيله ورجله إلى
الشام ، ثم سار إلى قسطنطينية ، وتبعه خمسمئة رجل من
قومه ، فتنصروا على آخرهم ، وفرح هرقل بهم وأكرمه .

ثم ندم جبلة على فعله ذلك ، وقال :

تنصرت الأشراف من عار لطمية

وما كان فيها ، لو صيرت لها ضرر

تكنّفني فيها لجأج ونخوة
 وبعث لها العين الصحيحة بالعوذ
 فيا ليت أُمي لم تلدني ، وليتني
 رجعتُ إلى القول الذي قاله عمرُ
 نسأل الله تعالى السلامة ، من الضلال وعاقبة الندامة .

من أسباب الضلال ضياع العلم

في الحديث الشريف : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً
 ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء - أي :
 بموتهم - حتى إذا لم يُبق عالماً ، اتخذ الناس رؤساء جهالاً ،
 فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلّوا وأضلّوا » ^(١)

من أوصاف أهل الضلال

لأهل الضلال أوصاف سوء ، ينبغي للمؤمن المهتدي أن
 يفرغ منها ويحتمنها ؛ منها :

(١) البخاري ومسلم .

١ - ضرب الأمثال الباطلة ، والمجادل بغير علم :

قال تعالى : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا ،
فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ (١) .

أي : إلى الهدى .

﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ، ولا هدى ولا
كتاب منير .

ثانيَ عطفه ليُضِلَّ عن سبيل الله ، له في الدنيا خزي ،
ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق .

ذلك بما قدّمت يداك ، وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ (٢) .

٢ - والإيغال في الضلال :

قال الله تعالى : ﴿ قل : من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن مدّاً ﴾ (٣) .

(٢) ٨ ، ١٠ - الحج .

(١) ٩ - الفرقان .

(٣) ٧٥ - مريم .

وهذا أمرٌ بمعنى الخبر ، أي : يدعه في طغيانه ، ويمهله في كفره .

٣ - إرادة شيوع الضلال :

قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ^(١) يشترون الضلالة ، ويريدون أن تضلوا السبيل ﴾ ^(٤) .

﴿ وذت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ، وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ ^(٣) .

٤ - موادة الكافرين :

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق .. ﴾ .

(٢) ٤٤ - النساء .

(١) هم يهود المدينة .

(٣) ٦٩ - آل عمران .

إلى أن قال : ﴿ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ (١) .

٥ - مقارنة الشيطان :

قال تعالى : ﴿ ومن يغش عن ذكر الرحمن نقیض له شیطاناً ، فهو له قرين ، وإنهم (٢) ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ (٣) .

٦ - الممارسة في الساعة :

قال تعالى : ﴿ إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد ﴾ (٤) .

لايقتدى بالآباء إذا ضلوا

قد يدعو إلى الضلال ، ويحارب الهدى آباء وأمها ، وأقارب وأرحام ، وقرناء سوء .. فينبغي الحذر منهم .

(٢) يعنى : الشياطين .

(٤) ١٨ - الشورى .

(١) ١ - المتحنة .

(٣) ٣٦ - ٣٧ - الزخرف .

قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ^(١) وكنا به عالمين .

إذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التائيل التي أنتم لها عاكفون ؟

قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين .

قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴿ ^(٢) .

والمراد برشده عليه السلام : توفيقه للنظر والاستدلال ، لما جنّ عليه الليل ، فرأى النجم والشمس والقمر ، واستدلّ بأفولها - أي : غيابها - أنها ليست آلهة تعبد .

وقال تعالى في كفار العرب :

﴿ وإذا قيل لهم : تعالوا إلى الله وإلى الرسول قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا .

أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴿ ^(٣) .

وقال تعالى في الكافرين :

(٢) ٥١ - ٥٤ - الأنبياء .

(١) أي : من قبل النبوة .

(٣) ١٠٤ - المائدة .

﴿ إنهم ألفوا ^(١) آباءهم ضالين .
 فهم على آثارهم يُهْرَعُونَ ^(٢) .
 ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ﴾ ^(٣) .

نعم ، أمر الله تعالى ببر الوالدين ، والإحسان إليهما ، وأكد
 حقهما على الأبناء ، لكن نهى عن متابعتها على الكفر
 والمعصية ، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

قال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حَسَنًا ، وإن
 جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ ^(٤) .
 نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ،
 قال :

كنت باراً بأمي فأسلمتُ .

فقالَت لَتَدَعَنَّ دينك ، أو لا آكل ولا أشرب ، حتى
 أموت ، فتُعَيَّر بي ، ويقال : ياقاتل أمه !

(٢) أي : يسرعون .

(٤) ٨ - العنكبوت

(١) أي : وجدوا .

(٣) ٦٩ - ٧١ - الصافات .

وبقيت يوماً ويوماً ، فقلت : يا أماء ! لو كانت لك مئة نفس ، فخرجت نفساً نفساً ، ما تركت ديني هذا ؛ فإن شئت فلكي ، وإن شئت فلا تأكلي .

فلما رأت ذلك أكلت ، ونزلت الآية .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت في عيَّاش بن أبي ربيعة ، أخي أبي جهل لأم ، وقد فعلت أمه مثل ذلك .

وعنه أيضاً ؛ قال : نزلت في جميع الأمة ، إذ لا يصبر على بلاء الله إلا صديق .

فطاعة الأبوين لا تُراعى في ركوب كبيرة ، ولا في ترك فريضة من فروض العين ، وتلزم طاعتها في المباحات ، ويستحسن في ترك المندوبات ، ومنه الجهاد إذا كان فرض كفاية .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : إن منعه أمه من شهود العشاء شفقةً عليه فلا يطعها .

هذا ، وقد آل الأمر في غربة الإسلام اليوم إلى أن كثيراً

من الآباء والأمهات ينهون أولادهم عن كثير من الطاعات ،
ويأمرونهم بكثير من المعاصي والمخالفات :

فينهونهم عن صلاة الجماعة في المساجد ، وعن الالتفاف
حول العلماء العاملين ، وينهونهم عن إطلاق اللحي ،
ويأمرونهم بمجالس يختلط فيها الرجال والنساء ، ويدعونهم
إلى مشاركتهم في مجالس المعصية ، كاللعب بالنرد ، والاستماع
إلى آلات اللهو والغناء المحرم ..

وماسبق من الآيات الكريمة ، وأحوال السلف ، وأقوال
العلماء ، نصوص صريحة ، في أن طاعة الآباء والأمهات - فضلاً
عن غيرهم - في أمثال ذلك لا تجوز ، إذ لا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق .

سؤال الله تعالى هداية الأهل والولد

لما كانت هداية الأهل والأولاد إلى الإيمان والحق تعين
الآباء والأمهات على الزيادة من الهدى ، وفي ضلال الأهل
خطر على الآباء والأمهات ، جاء في الدعاء المأثور :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ :

« قُلْ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ سِرِّي خَيْرًا مِنْ عِلَانِي ، وَاجْعَلْ

عِلَانِي صَالِحَةً .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ صَالِحِ مَا تُؤْتِي النَّاسَ مِنَ الْمَالِ وَالْأَهْلِ

وَالْوَلَدِ ، غَيْرِ الضَّالِّ وَلَا الْمُضَلِّ » (١)

إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ الصَّالِحِينَ دُونَ الضَّالِّينَ

وَالْمُضَلِّينَ مِنْهُمْ .

أهل الضلال يدعون إلى ضلال

قال الله تعالى في فرعون : ﴿ وَأَضَلْ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا

هُدًى ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ

لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

(٢) ٧٩ - طه .

(١) الترمذي .

(٣) ٦ - لقمان .

وقال تعالى : ﴿ وَدَّت طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ
يَضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١) .

نزلت هذه الآية في معاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ،
وعمار بن ياسر ، حين دعاهم اليهود من بني النضير وقريظة
وبني قَيْنُقَاع إلى دينهم .

ومثل هذه الآية قوله تعالى :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ
كُفْرًا .. ﴾ (٢) .

وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ :

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ ، لَهَمَّت طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
أَنْ يُضِلُّوكَ . ﴾

وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء .. ﴾ (٣) .

شيء بسيطاً على بعض الأشياء .
أي : لأنك معصوم .
(٦) ﴿ هَذَا س . ﴾

(١) ٦٩ - آل عمران .
(٢) ١٠٩ - البقرة .
(٣) ١١٢ - النساء .
رقعة .
ن لقا - (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مِنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) .

وقال تعالى على لسان أهل النار يوم القيامة :

﴿ وَقَالُوا : رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا ، فَأَضَلُّونَا
السَّبِيلَا .

رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (٢) .

﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا ، فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ
النَّارِ ﴾ (٣) .

وفي الحديث الشريف :

« يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ، ولا يستنون بسنتي ،
ويقوم فيهم رجال ، قلوبهم قلوب الشياطين في جحآن
إنس .. » (٤)

وعن حذيفة بن اليان رضي الله عنه أنه قال :

(١) ١١٦ - الأنعام .

(٢) ٦٧ ، ٦٨ - الأحزاب .

(٤) مسلم .

(٣) ٣٨ - الأعراف .

« كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني :

قلت : يا رسول الله ! إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟

قال : نعم .

قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟

قال : نعم ، وفيه دَخَنٌ - أي : كدورة -

والمراد : أنه لا يكون خيراً صفوياً بحتاً بل يكون مشوباً بكدورة وظلم .

قلت : وما دَخَنُه ؟

قال : قوم يستنون بغير سني ، ويهدون بغير هدي ، تعرف منهم وتنكر .

قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟

قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها .

قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا .

قال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا .

قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟

قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .

قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟

قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعضّ بأصل

شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك « (١)

وفي الحديث الشريف : « من أحيا سنة من سنتي أميتت

بعدي ، كان له من الأجر مثل من عمل بها ، من غير أن

ينقص من أجورهم شيئاً .

ومن أتبع بدعة ضلالة ، لا يرضاها الله ورسوله ، كان

عليه مثل آثام من عمل بها ، لا ينقص ذلك من أوزار الناس

شيئاً « (٢)

(٢) الترمذي وابن ماجه .

(١) البخاري ومسلم .

« لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك » (١) .

الشیطان يدعو إلى ضلال

الشیطان رأس الضلال والمعصية والكفر ، وقد خلقه الله تعالى للإضلال والإغواء اختباراً لعباده ، وامتحاناً لهم ، وحذرهم من متابعتة .

قال الله تعالى : ﴿ ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ (٢) .

وقال تعالى مخبراً عن إبليس :

﴿ قال : فما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمنهم ، وعن شمائلهم . ﴾

أي : لأصدنهم عن الحق ، وأرغبنهم في الدنيا ، وأشككنهم في الآخرة .

(٢) ٦٠ - النساء .

(١) ابن أبي عاصم .

ثم قال : ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ ^(١) .

وإنما كان الشيطان يدعو بني آدم إلى ضلال ، لعداوته إياهم ، وقد أعلن الله تعالى ذلك لعباده ، فقال :

﴿ إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدواً ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ ^(٢) .

﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ، أن لا تعبدوا الشيطان ، إنه لكم عدو مبين ﴾ ^(٣) .

أخبر الله تعالى عباده أن الشيطان لهم عدو ، ويدعوهم إلى ضلال ، وخبره حق وصدق .

فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو ، الذي قد أبان عداوته من زمن آدم عليه السلام ، وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم .

وهذا أمر الله تعالى بالحدزر منه ، فقال جلّ من قائل :

(٢) ٦ - فاطر .

(١) ١٦ ، ١٧ - الأعراف .

(٣) ٦٠ - يس .

﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين .
 إنما يأمركم بالسوء والفحشاء ، وأن تقولوا على الله ما لا
 تعلمون ﴾ (١) .

﴿ الشيطان يعدم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء .. ﴾ (٢) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن
 يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء
 والمنكر .. ﴾ (٣) .

﴿ إن الذين ارتدوا على أدبارهم ، من بعد ما تبين لهم
 الهدى ، الشيطان سؤل لهم ، وأملى لهم ﴾ (٤) .

﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة
 والبغضاء ﴾ (٥) .

﴿ إنه عدو مضل مبين ﴾ (٦) .

(٢) ٢٦٨ - البقرة .

(٤) ٢٥ - محمد .

(٦) ١٥ - القصص .

(١) ١٦٨ ، ١٦٩ - البقرة .

(٣) ٢١ - النور .

(٥) ٩١ - المائدة .

وهذا غاية في التحذير ، ومثله في القرآن كثير .

وقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ، ويتبع كل شيطان مريد ^(١) .

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَاةِ فَاثَنَ يَضَلُّهُ ، وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿ ^(٢) .

وقال تعالى في الكافرين :

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ، فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ، فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿ ^(٣) .

وفي الحديث الشريف : « يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من يخالف الجماعة » ^(٤)

وفي رواية : يد الله على الجماعة ، فإذا شذَّ الشاذُّ منهم ، اختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة من الغنم .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال :

(٢) ٤ - الحج .

(٤) الترمذي .

(١) أي : متبرد .

(٣) ٢٤ - النمل .

خطَّ رسول الله ﷺ لنا خطاً ، ثم قال :
هذا سبيل الله .

ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، وقال :

هذه سبُل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه :

وقرأ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ ، فَتَفْشَرُوا بِكُمُ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكَمِ صِرَاطٌ بِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾ (١) .

أشد الضلال الكفر

ارتكاب المعاصي صغارها وكبارها ضلال ، وترك الفرائض
والسنن ضلال ، وأشد الضلال الكفر :

قال الله تعالى : ﴿ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴾ (٢) .

(١) ١٥٣ - الأنعام . والحديث رواه البخاري .

(٢) ١١٦ - النساء .

﴿ إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله قد ضلّوا ضلّالاً بعيداً ﴾ (١) .

الكافرون كالأنعام بل أضلّ

قال الله تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس :

لهم قلوب لا يفقهون بها ، وهم أعين لا يبصرون بها ،
 وهم أذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضلّ ، أولئك هم الغافلون ﴾ (٢) .

فهم بمنزلة من لا يفقه ، لأنهم لا ينتفعون بقلوبهم وعقولهم ،
 وبمنزلة العمي ، لأنهم لا يبصرون الحق بأعينهم ، وبمنزلة الصمّ ، لأنهم لا يسمعون الحق والمواعظ بأذانهم .

فهم لا يهتدون إلى الحق .

وليس الغرض نفي الإدراكات عن حواسهم جملة .

فهم كالأنعام ، لأن همّهم الأكل والشرب ، وهم أضلّ لأن

(٢) ١٧٩ - الأعراف .

(١) ١٦٧ - النساء .

الأنعام تبصر منافعتها ومضارها ، وتتبع مالكتها ، وهم بخلاف ذلك .

وفي هذا المعنى قال الله تعالى أيضاً .

﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ؟
إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ (١) .

الدعاء على الضالين

قال الله تعالى :

﴿ وقال نوح : رب لا تذر على الأرض من الكافرين
دتيّاراً ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجراً
كفاراً ﴾ (٢) .

واستشكل بعض الناس هذه الآية فقال :

كيف دعا عليهم ، وحكم الرسل استدعاء إيمان قومهم ؟!

والجواب : أنه لا يجوز أن يدعو على قومه إلا بإذن الله

(٢) ٢٦ ، ٢٧ - نوح .

(١) ٤٤ - الفرقان .

تعالى ، وإعلام منه أنه ليس فيهم من يؤمن ، ولا يخرج من
أصلاهم من يؤمن .

ودليل هذا قول الله تعالى:

﴿ وأوحىَ إلى نوح : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد
آمن ﴾ (١) .

وعند ذلك قال :

﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ .

فأجاب الله دعوته ، وأغرق أمته .

وقد يقال : لم جعل نوح عليه السلام دعوته على قومه
سبباً لتوقفه عن طلب الشفاعة للخلق من الله في الآخرة ؟

فالجواب : أن تلك الدعوة نشأت عن غضب عليهم
وقسوة ، والشفاعة تكون عن رضاً ورقة ، فخاف أن يعاقب
بها ، ويقال له :

دعوتَ على الكفار بالأمس ، وتشفع لهم اليوم ؟

ودعا موسى عليه السلام على فرعون وملئه :

﴿ وقال موسى : ربنا إنك أتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ، ربنا ليضلوا عن سبيلك . ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يَروا العذاب الأليم .

قال : قد أُجيبَت دعوتكما ﴿^(١)

ودعا نبينا محمد ﷺ على من تحزَّب على المسلمين ، وألب عليهم .

وهذا أصل في الدعاء على الكافرين بالجملة .

فأما كافر معين لم تُعلم خاتمه ، فلا يُدعى عليه ، لأنه مآله عندنا مجهول ، وربما كان عند الله معلوم الخاتمة بالسعادة .

وإنما خص النبي ﷺ بالدعاء عُتبة وشيبة وأصحابها ،

وقال : « اللهم عليك بهم » لعلمه بمآلهم ، وكشف له من الغطاء عن حالهم .

مصير أهل الضلال

يُقَسِّمُ اللهُ تعالى العباد يوم القيامة إلى ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : وهم السابقون ، وهم المقربون .

وقال تعالى فيهم : ﴿ فَمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ، فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ﴾^(١) .

أي : هم في راحة من الدنيا وفي نعيم الجنة ، وأعلى درجات النعيم ، النظر إلى وجه الله الكريم .

والطبقة الثانية : وهم أصحاب اليمين .

وقال تعالى فيهم : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾^(٢) .

أي : لست ترى منهم إلا ما تحب من السلام ، فلا تهتم لهم

(٢) ٩٠ ، ٩١ - الواقعة .

(١) ٨٨ ، ٨٩ - الواقعة .

والطبقة الثالثة : وهم أصحاب الشمال ، وهم المكذبون الضالون .

وقال تعالى فيهم : ﴿ وأما إن كان من المكذبين الضالين ، فنزّل من حميم ، وتصلية جحيم ﴾ (١) .

أي : قراءه وضيافته ماء شديد الحرارة ، ومقاساة الحر النار .

والعياذ بالله تعالى .

وهؤلاء هم الذين يقول الله تعالى لهم :

﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ، لآكلون من شجر من زقوم ، فالتئون منها البطون ، فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب الهيم ﴾ (٢) هذا نزلهم يوم الدين ﴿ (٣) .

أي : ما أعدّ لهم من الجزاء فيه .

وهذا كما قال تعالى فيه أيضاً :

(٢) وهي الإبل العطاش التي لا تروى .

(١) ٩٢ - ٩٤ - الواقعة .

(٣) ٥١ - ٥٦ - الواقعة .

﴿ ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ﴾ (١) .

أي : يخلط لهم طعام الزقوم بماء الحميم ، ليجمع لهم بين المرارة والحرارة تغليظاً لعذابهم ، وتجديداً لبلائهم .

ندامة أهل الضلال يوم القيامة

قال الله تعالى في وصف مشهد من مشاهد القيامة :

﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلموني ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم (٢) وما أنتم بمصرخي ، إني كفرت بما أشركتمون من قبل ، إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ (٣) .

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : يقف إبليس يوم القيامة خطيباً في جهنم ، على منبر من نار ، يسمعه الخلائق جميعاً ، ومن كلامه هذا الذي جاء في الآية الكريمة .

(٢) بغيثكم ولا متبذكم .

(١) ٦٧ - الصافات .

(٣) ٢٢ - إبراهيم .

وحينئذ تصيب الكافرين الخيبة والحسرة والندامة .

وقال تعالى : يحذر عباده من موقف الندامة يوم القيامة :

﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون .

أن تقول نفس : يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ﴾ (١) .

وقال تعالى في خطاب أهل النار يوم القيامة :

﴿ ألم تكن آياتي تُتلى عليكم ، فكنتم بها تكذبون ؟

قالوا : ربنا غلبت علينا شقوتنا ، وكنا قوماً ضالين .

ربنا أخرجنا منها ، فإن عدنا فإنا ظالمون .

قال : اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ (٢) .

وقال تعالى في الكافرين وحسرتهم وندامتهم يوم القيامة :

﴿ فمالنا من شافعين ، ولا صديق حميم ، فلو أن لنا

كرة (٣) فنكون من المؤمنين ﴾ (٤) .

(٢) ١٠٥ - ١٠٨ - المؤمنون .

(١) ٥٥ ، ٥٦ - الزمر .

(٤) ١٠٠ - ١٠٢ - الشعراء .

(٣) أي : عودة إلى الدنيا .

فتقطع الحسرة قلوبهم ، وتتأجج نار الندامة في صدورهم ،
ولات ساعة مَندم .

حمدُ أهل الجنة ربهم على الهدى

لما كانت عاقبة المهتدين الجنة ، وكانت هي النعمة الكبرى
عليهم ، لم يكن عجباً أن يحمدا الله تعالى فيها ، على نعمته
عليهم بها ، وهدايته إلى ما أوصلهم إليها .

قال الله تعالى فيهم ، ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ
تجري من تحتهم الأنهار ، وقالوا : الحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا
بالحق .

ونودوا : أن تكلم الجنة أورثتموها بما كنتم
تعملون ﴿^(١) .

ذكر الله تعالى فيما ينعم به أهل الجنة ، نَزَعَ الغِل من
صدورهم .

والغِل : الحقد الكامن ، والجمع غِلال .

أي : نُذهب في الجنة ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا .

ولا يحسد بعضهم بعضاً في تفاضل منازلهم في الجنة .
ويرث المؤمنون منازل الجنة بأعمالهم ، بعد دخولهم إياها
برحمة الله وفضله .

كما قال تعالى : ﴿ ذلك الفضل من الله ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ﴾ (٢) .

وقد سبق ذكر الحديث الشريف :

« لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة .

قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟

قال : ولا أنا إلا أن يتغمديني الله برحمة منه وفضل » (٣)

(٢) ١٧٥ - النساء .

(١) ٧٠ - النساء .

(٣) مسلم .

وفي حديث آخر : « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً » ^(١)

وهذا ميراث ، ينعم الله بفضله على من يشاء ، ويعذب بعدله من يشاء .

وبالجملة فالجنة ومنازلها لا تنال إلا برحمة الله ، فإذا دخلوها بأعمالهم ، فقد ورثوها برحمته ، ودخلوها برحمته ، إذ أعمالهم رحمة منه لهم ، وتفضلّ عليهم .

فلا عجب أن تنطلق ألسنتهم فيها بحمد الله تعالى ، وتمجيده والثناء عليه .

نداء !

فيا أيها الناس !

استجيبوا للهدى ، واسلكوا سبيله ، واحذروا ، الضلال ، واجتنبوا مسالكه .

(١) مسلم .

اقرأوا القرآن الكريم ، فإنه هدى ، واهتدوا بهديه .
 فقد دعائم إلى عقائد حقة ، وعبادات سامية ، ومعاملات
 قوية ، وآداب رفيعة ، وأخلاق كريمة .
 أتبعوا ماجاء به نبيكم ﷺ ، ولا تقدموا عليه رأياً ولا
 هوى :

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه
 فانتهوا ﴾ (١) .

﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ (٢) .

كونوا من المهتدين ، وادعوا الناس إلى الهدى ، وأنيروا
 للعالم الضال مسالك الهدى ، فما أحوج العالم إلى دعوة الهدى
 والحق !

دعاء !

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين
 إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المسقيم ، صراط

الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك
رحمة إنك أنت الوهاب .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

اللهم اغفر لنا وأرحمنا واهدنا وعافنا وارزقنا .

اللهم إنا نعوذ بعزتك - لا إله إلا أنت - أن تضلنا .

اللهم اهدنا ويسر الهدى لنا ..

اللهم أصلح ذات بيننا ، وألف بين قلوبنا ، واهدنا سبل
السلام ، ونجنا من الظلمات إلى النور ، وجنبنا الفواحش ما
ظهر منها وما بطن .

اللهم إنا نسألك رحمةً من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع
بها شملنا ، وتلمم بها شعثنا ، وتصلح بها غائبنا .

وترفع بها شاهدنا ، وتزكي بها أعمالنا ، وتلهمنا بها
رشدنا ، وترد بها ألفتنا ، وتعصمنا بها من كل سوء .

اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ،
سليماً لأوليائك ، وحرماً لأعدائك ، نجب بمجك من أحبك ،
ونعادي بعداوتك من خالفك .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت .
واصرف عنا سيئها ، لا يصرف سيئها إلا أنت .

اللهم زيننا بالإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ٥ | المقدمة |
| ٧ | الهدى والضلال معناهما |
| ١١ | الهدى بيد الله تعالى |
| ١٧ | من المشاهد المحسوس |
| ١٨ | الرسل والدعاة لا يملكون من الهداية شيئاً |
| ٢٣ | كُتِبَ اللهُ تعالى هدى للناس |
| ٢٧ | الصحف |
| ٢٧ | الناس فريقان : مهتدي وضالٌّ |
| ٣٠ | طلب الهداية |
| ٣٠ | من أسباب الهداية : |
| ٣٠ | ☆ الدعاء |
| ٣٢ | ☆ الإيمان |
| ٣٥ | ☆ اتباع ما أمر الله تعالى |
| ٣٦ | ☆ مجاهدة النفس |

- ٣٨ الله تعالى غني عن العالمين
- ٣٩ لا عذر للنفس في ضلالها
- ٤٢ الهدى في الاتباع
- ٤٦ من الذين هدى الله
- ٤٩ من موانع الهدى
- ٥٤ الشكر على الهدى
- ٥٦ أكثر الناس يدعون إلى ضلال
- ٥٧ من علامات الهدى
- ٥٨ من علامات الضلال
- ٥٩ الدعوة إلى الهدى
- ٦٦ لا يجوز كتمان الهدى
- ٦٨ لا يضر المهتدين من ضلّ
- ٧١ الضلال بعد الهدى
- ٧٧ من أسباب ضياع العلم
- ٧٧ من أوصاف أهل الضلال
- ٧٨ ☆ ضرب الأمثال الباطلة
- ٧٨ ☆ الإيغال في الضلال

- ٧٩ ☆ إرادة شيوع الضلال
- ٧٩ ☆ موادّة الكافرين
- ٨٠ ☆ مقارنة الشيطان
- ٨٠ ☆ المماراة في الساعة
- ٨٠ لا يَتَقَدَى بِالآبَاءِ إِذَا ضَلُّوا
- ٨٤ سؤال الله تعالى هداية الأهل والولد
- ٨٥ أهل الضلال يدعون إلى ضلال
- ٩٠ الشيطان يدعو إلى ضلال
- ٩٤ أشد الضلال الكفر
- ٩٥ الكافرون كالأنعام بل أضل
- ٩٦ الدعاء على الضالين
- ٩٩ مصير أهل الضلال
- ١٠١ ندامة أهل الضلال يوم القيامة
- ١٠٣ حمد أهل الجنة ربهم على الهدى
- ١٠٥ نداء !
- ١٠٦ دعاء !
- ١٠٩ الفهرس

لمؤلف رحمه الله تعالى سلسلة العقائد

- ١ - الإيمان بالله تعالى .
- ٢ - الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام .
- ٣ - الإيمان بالملائكة .
- ٤ - الإيمان باليوم الآخر ، والقضاء والقدر .
- ٥ - الإيمان : خصائصه ، علاماته ، ثمراته : قسمان .
- ٦ - الكفر والكفرات .

سلسلة من هدي الإسلام

وتتألف من ستة عشر جزء .

الناشر

دار السَّالِم للطباعة والنشر والتوزيع

١٢٠ شارع الأزهر تلفون ٩٣٠٨٢٠ - ٩٣٥٦٤٤
ص ب ١٦١ القورية تلکس ٩٣٩٨٧ يجتتل بکار

رقم الإيداع

٨٥ / ٤٠٨٩